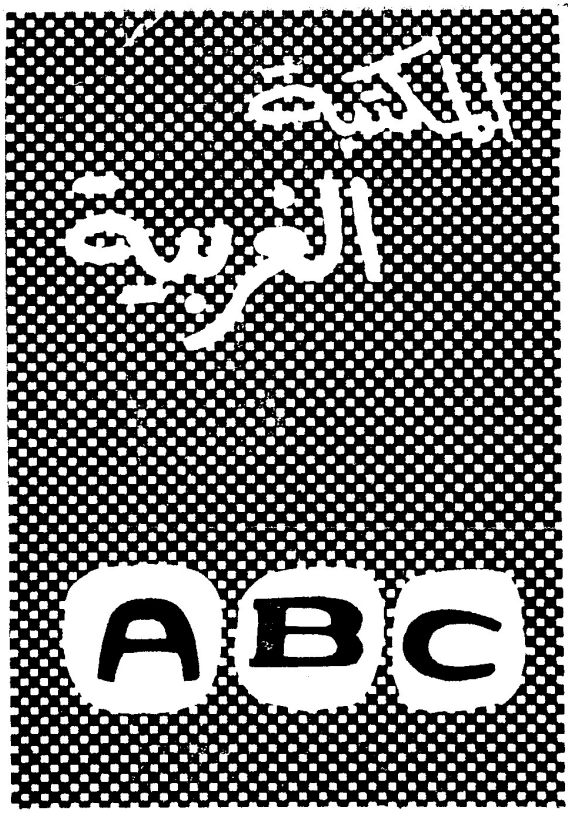

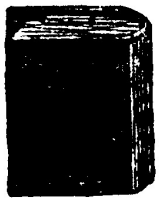

مجال التحليل النفسى

تأليف : فرانز الكسندر

(٢٩)

THE SCOPE OF PSYCHOANALYSIS

by ; Franz Alexander,

Basic Books Inc. New York, 1961 (594 Pages)

لا يكاد دارس من دارسى التحليل النفسى يجهل اسم فرانز الكسندر مؤلف هذا الكتاب ، فهو من الرعيل الأول الذى أسهم بصورة فعالة فى تثبيت دعائم هذه المدرسة ، ونشر أفكارها ، وتوصيلها للاذهان . ولقد ذكره فرويد فى كثير من كتاباته ، كما كان له حظ الفوز بجائزة فرويد سنة ١٩٦٢ عن بحثه الموسوم « عقدة الخصاء وتكوين الخلق » (١) .

وقيمة فرانز الكسندر الحقيقية تتمثل فى انه عاصر مولد النظرية ، وظل يتتابع ما مرت به من تطورات حتى وقتنا الراهن، حيث بلغت أقصى ما تطمح اليه نظرية من شهرة ، وقيمة ، وشمول . هذا الى ما تميز به الكسندر نفسه من قدرة خارقة على التحليل ، وعرض أفكاره ، خلال اطار علمى جاد ، أتاح لتلك الأفكار أن تخرج من العزلة التى فرضت على علم النفس زمنا طويلا . وعرض الكتاب قمين بأن يكشف للقارىء ، ما أسهم به الكسندر فى هذا المجال .

الكتاب عبارة عن أبحاث نشرت فى الفترة ما بين عامى ١٩٢١ ، ١٩٦١ ، وهو لذلك يوضح طبيعة التطور العلمى الذى مر به المؤلف .. وليس كالتاريخ النظورى ما يضيء لنا ما يمر به الباحث من تغير ينعكس فى بناء شخصيته أو فكره . لذلك سنحاول فى عرضنا للافكار الأساسية لهذا الكتاب أن نتبع التنظيم التاريخى لفصول الكتاب .

(١) Castration Complex in The Formation of character.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقع الكتاب فى ستة أجزاء ، يختص الجزء الأول بالاطـــار النظرى للافكار التحليلية ، أما الجزء الثانى فيختص بفن العلاج عن طريق التحليل النفسى . ويهتم الجزء الثـــالث بتطبيقات التحليل النفس فى مجال الاضطرابات النفسية الجســـمية « السيكوسومات » . أما التطبيقات النظرية للتحليل النفسى فى ميدان علم الاجتماع ، والسياسة ، والجماليات ، وعلم الجريمة فيختص بها الجزء الرابع ، فى حين يتعرض الجـزء الخامس للعلاقة النظرية بين التحليل وكل من الفلسفة والاداب وفلسفة العلوم .. أما الجزء السادس والاخير فيفرده المؤلف لفن تعليم التحليل النفسى وعلم النفس الدينامى والطب السيكوسوماتى. وتتصدر الكتاب مقدمة كتبها الدكتور توماس فرنش عرض فيها كتابات الكسندر السابقة وعلاقتها بالأبحـاث التى يتضـــمنها الكتاب .

***

● **الاطار النظرى :**

من أول الأبحاث التى بدا بها الكسندر حياته العلمية ، ذلك البحث المشار اليه فى أول العرض والذى يتصدر الكتاب ، وقد نال عليه المؤلف كما قلنا جائزة فرويد للتحليل النفسى ، وهـو « عقدة الخصاء وأثرها فى تكوين الخلق » . والواقع ان هـــذا البحث ما هو الا صدى رائع للملاحظات التى ابداها فرويد تحت عناوين متفرقة من أعماله العلمية عن « الاحساس اللاشـــعورى بالتريث » و « الحاجة الى عقاب الذات » التى تكون ركنـــا اساسيا من اركان المرض النفسى . فيقدم الكسندر فى هـــذا البحث تحليلا مفصلا ـ يوضح فيه دور الحاجة الى العقاب عند مريض من ذوى الخلق العصابى . فمن أهم الأعراض التى برزت عند هذا المريض ما اسماه الكسندر « بهوس السرقة السلبى » وهو عبارة عن احساس قهرى كان يدفع المريض الى ان يضع خيرة اصدقائه فى مواقف تغرى بالسرقة منه ، كشكل من اشكال عقاب الذات ، النابع من احساس بالاثم المرتبط بالموقف الاوديبى.

صورت ـ ايضا ـ هذه الفكرة ، تصويرا اعمق ، خلال اربع مقالات اخرى حوتها هذه المجموعة وهى : « الحاجة الى العقاب وغريزة الموت » (١) ، و « الخلق العصابى » (٢) و « حـــول الاحلام ذات المحتوى المؤلم » (٣) و « الأحـــلام المتسلسلة او الثنائية » (٤) . فمثلا يعرض الكسندر فى البحثين الأخيـــرين للغموض المحيط بمفهوم فرويد عن الحلم بانه (تحقيق لرغبـــة مكبوتة فى اللاشعور) اذ يبدو من الناحية الظاهرية صـــعوبة اخضاع الأحلام المزعجة لهذا التعريف . والواقع ان فرويد نفسه تعرض لهذه المشكلة فى المحاضرة التاسعة والعشرين من كتـــابه الموسوم « محاضرات تمهيدية جديدة فى التحليـــل النفسى » . ازاء هذا التناقض الظاهرى يتفق فرويد والكسندر : على أن مثل هذا النوع من الأحلام يحقق رغبة أيضا ، ولكنها رغبة تنتمى الى هذا الشكل الخاص من أشكال عقاب الذات ، نتيجة ضراوة ، وقسوة ، فى تركيب الانا الاعلى فيجب العقاب لدى الشخص كوسيلة من وسائل التخفيف من الذنب الذى يثيره بحدته ، وهكذا تطبع حياة الشخص بطابع ماروكى يبرز أثره فى الاحلام المزعجة أو الكوابيس » .

وبينما نجد أن الشعور بالذنب يؤدى الى الرغبة فى عقـاب الذات ، نجد أيضا انه قد يتبلور فى سلوك مختلف تماما ، وهو ما اسماه فرويد « بالسلوك الاجرامى الناتج من اللاشـــعور بالذنب » . والى مثل هذا النوع من التفسير يفرد الكسندر مجموعة من الدراسات ، ظهرت عام ١٩٣١ ، بالاشـــتراك مع H. Straub. فى كتاب « المجرم والقاضى والجمهـــور » .

ويرى فرنش ان الكسندر تاثر فى هذا الاتجاه بنمط معين من المجرمين ظهر فى امريكا ، لضيق فرص المغامرة والاكتشاف امـام الشباب بعد غلق الحدود . وافراد هذا النـــوع من المجرمين ـ كما يرى الكسندر ـ يعملون على تحقيـــق ذواتهم بطريقة عدوانية ضارية تخفى وراءها رغبة فى انكار دافع طفلى للاعتماد على الغير وحاجة الى حب الآخرين . وستتضح ابعاد هـــذه الفكرة لنا خلال العرض للمجال التطبيقى للتحليل النفسى .

***

من المشكلات النظرية التى تعـــرض لها الكسندر بالبحث والتحليل مشكلة العلاقة بين مشاعر الذنب ومشاعر النقص .. ولا يكاد يوجد واحد من المحللين النفسيين الا وقد عرض لهـذه المشكلة مبينا ارتباطها الوثيق بالمرض النفسى .. بل ان «ادلر» وهو واحد من أقطاب مدرسة التحليل النفسى ، ومؤسس مدرسة علم النفس الفردى ، جعل من الشـعور بالنقص القطب الذى تلتقى فيه الحياة النفسية بتوزعها ، وثرائها ، سواء كان ذلك فى الصحة أم فى المرض . أما فرويد فقد هاجم هذا الاتجاه الذى اخذته لنفسها مدرسة علم النفس الفردى . واستخدم الأسلوب التحليلى فى هجومه عليها ، فاتهم ادلر وانصاره باتهم مصابون بما يشبه العصـــاب القهـــرى الذى يستحـــوذ على فريسته ويحصرهـــا فى دائرة لا تستطيـــع الفريســـة منها فكاكا .. وتتخذ هذه الدائرة اشكالا مختلفة ـ طقوسا او افكارا او اعمالا .. الخ ـ يخضع لها الشخص خضوعا قهريا تعســـفيا .. اما الشكل الذى اتخذته عند انصار مدرسة علم النفس الفـــردى فهو فكرة واحدة تتمثل فى عقدة النقص Inferiority Complex وعلى الرغم من أن فرويد لم ينكر عقدة النقص انكارا تاما ، الا انه ضيق من حدودها ، فجعل الشعور بالنقص مرتبطا باســـاس شهوى قوى . «فالطفل يشعر بهذا الشعور حين يدرك انه غير محبوب . والأمر بالمثل عند الراشد الكبير . أما العضو الوحيد الذى يعتبر دونا حقا هو : القضيب الموقوف النمو ـ أى بظـر البنت » (محاضرات تمهيدية جديدة فى التحليـــل النفسى ، الترجمة العربية ، ص ٦٢) . وبصدد العلاقة بين مشـــاعر النقص ومشاعر الذنب يتفق الكســـندر مع فرويد فيما يتعلق بوحدة الاصل بينهما : فهما تعبيران عن التوتر الذى يتم فى علاقة الانا بالانا الاعلى . واذا كان الكسندر يتفق مع فرويد على وحدة الاصل بين الشعور بالذنب والشعور بالنقص ، فانه ينظـــر اليهما على انهما ظاهرتان سيكلوجيتان مختلفتان فيقول فى ذلك :

---

(١) The Nead for Punishment and the Death Instinct.
(٢) The Neurotic Character.
(٣) About Dreams with Unpleasant Content.
(٤) Dreams in Paires or Series.
New Introductory Lectures to Psychoanalysis.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

« على الرغم من هذه الحقيقة وهى أن مشاعر الذنب ومشاعر النقص يمكن فهمهما بنفس الصورة أى كصراع بين الأنا Ego والأنا المثالى Ego-Ideal الا أنهما فى حقيقة الامر ظاهرتان سيكلوجيتان مختلفتان تماما ، والتأثير الادنى فى كل منهما على السلوك مختلف كذلك فالافراد الواقعون تحت ضغط الشعور بالذنب يسلكون بطريقة مباينة لسلوك الافراد الواقعين تحت ضغط الشعور بالنقص » (ص ١٢٩) .

ويفرد المؤلف بحثين للتفرقة بين مشاعر الذنب ومشاعر النقص : الاول بعنوان « انطباعات حول العلاقة بين الشعور بالذنب والشعور بالنقص » (١) والآخر بعنوان « علاقة الصراعات الفريزية بالصراعات البنائية » (٢) ويرى ان المحتوى السيكلوجى اللاشعورى للاحساس بالذنب يتلخص فى هذه العبارة : « لست فاضلا .. فان الذى فعلته ـ او الذى سأفعله ـ شىء حقير ومنحط وانى لجدير بالعقاب » . **أما المحتوى السيكلوجى اللاشعورى للاحساس بالنقص فانه يتلخص فى هذه العبارة** « اننى انسان حقير .. فلاقاوم حقارتى » .. (ص١٣٠ـ١٣١).

بعبارة أخرى : يتشابه البناء اللفظى للشعور بالنقص مع الشعور بالذنب وهو الاحساس بالحقارة .. ومع ذلك فان السلوك الناتج مختلف فى موقف عنه فى الموقف الآخر . فالشخص الواقع تحت ضغط الشعور بالذنب ينطوى فعله على احساس بقيمة العدالة . فهو يحس بالذنب لانه اعتدى أو سيعتدى على انسان لا يستحق هذا العدوان . **ويستدل على وجود عنصر الاحساس بالعدالة فى مشاعر الذنب ، الى ان ذلك الشعور يختفى ، حينما يجد الشخص مبررا لعدوانه او عدائه مع الآخرين .**

وباختصار : يرتبط الشعور بالذنب بالخوف من التعبير عن الميول العدوانية . ذلك الخوف الذى يتضمن تأثيرا رادعا على السلوك . لانه خوف ناتج عن احساس عميق بالعدالة .

واذا كان الشعور بالذنب هو فى حقيقته شعور بالعدالة ، وبالكف ، فان الشعور بالنقص ـ على العكس من ذلك ـ يدفع الشخص للتحدى لا للارتداع ، وللتعبير عن الميول العدوانية لا كفها . ذلك ان الشعور بالنقص لا يرتبط ارتباطا قريبا ، أو بعيدا ، بالشعور بالعدالة . واذا كان الشعور بالحقارة عنصرا بارزا فى كلا الشعورين ، فانه لا يتخذ فى حالة الشعور بالنقص مظهرا أخلاقيا ، كما فى حالة الشعور بالذنب . لانه فى حقيقته احساس بالضعف ، وعدم الكفاءة ، والعجز ، والمهانة . وتلك أحاسيس من شأنها أن تدفع للمنافسة ، والطموح ، والعدوان . (ص ١٢٩ ـ ١٣٧)

ويؤدى بنا التتبع التاريخى لالكسندر الى مرحلة هامة من مراحل تطوره الفكرى العلمى ، وهى مرحلة يمر بها كل مفكر او عالم ، بعد فترة من التقبل السلبى للافكار التى تمده بها النظرية التى يتحمس لها ، فيعمد كارها او طائعا ـ بعد احساسه بنضج

(١) Remarks about the Relation of Inferiority Feelings to Guilt Feelings.

(٢) The Relation of Structural and Instinctual Conflicts.

أفكاره وتكامل ملامحها ـ الى مرحلة المساهمة الايجابية عن طريق تعميق جوانب معروفة ، لم تستطع النظرية فى بداية تطورها أن توفيها حقها من التفصيل والتحليل ، او بالكشف عن بعض النواحى المجهولة التى غابت عن ذهن المؤسس الاول، أما لتحمسه لبعض النواحى دون البعض الآخر ، واما لان النظرية بلغت درجة من الثراء ، والتعقد أصبح من العسير معهما أن يستطيع شخص واحد ـ مهما بلغت عبقريته ـ الاحاطة بكل ما خفى منها . فيأتى جيل آخر يأخذ على عاتقه تحقيق ذلك الأمر . وكان الكسندر من هذا الرعيل . وقد عرضنا لمساهماته بشأن تعميق بعض النواحى المعروفة .. ولا نود ان ندع عرض الاطار النظرى ، من غير أن نعرض لمساهماته فى كشف بعض النواحى المجهولة .

وقد تركزت مساهماته فى هذا المجال فى نظريته المسماة بنظرية الطاقة الزائدة Surplus energy theory. ، وقد عرفت **فيما بعد باسم نظرية الموجه** Vector theory. ، **وقد وضع خطوطها الاولى فى البحث الذى نشره عام ١٩٤٠ بعنوان « اعادة نظر فى التحليل النفسى » (١) وعمقها بعد ذلك فى بحثين تاليين هما : « منطق الانفعالات واطارها الدينامى » (٢) ، « جوانب مجهولة فى التحليل النفسى . نظرية وعلاجا » (٣) والابحاث الثلاثة اشتملت عليها المجموعة التى بين يدينا .**

يتلخص الهيكل العام للنظرية فى العبارة التالية المأخوذة من البحث الاول « اعادة نظر فى التحليل النفسى » : « ان المراحل الاساسية التى تمر فيها الحياة تبدأ من مرحلة نمو غايته النضج. وبعد الوصول الى هذا النضج تبدأ فترة من الانتاج . تنتهى بالانحدار الى الموت فى نهاية المطاف . وعملية الحياة ـ فى حد ذاتها ـ ترتكز على طاقة ومادة البيئة ثم ادماجها واخراجها بعد ذلك . والكائن الصغير النامى يدمج أكثر مما يخرج ومن ثم تبدأ عملية النمو . ويظهر التعبير السيكلوجى لهذه المرحلة فى شكل ما يعرف باسم الميول قبل ـ التناسلية ، التى تتمركز كلها حول عملية الادماج ، والمحافظة على هذا المدمج . وعندما يصل الكائن الى مرحلة النضج وحيث تبرز الى الوجود ظاهرة فسيولوجية جديدة : الانتاج . جنبا الى جنب مع ظاهرة سيكلوجية : حب الآخرين ، بالمعنى الناضج . لان الطاقة الزائدة ـ التى لم تعد تستهلك لاغراض النمو ـ تثير نوعا من التوتر يحل فى شكل الانتاج . »

« والحقيقة الهامة أن كل هذه العمليات المرتبطة فنومنولوجيا باللذة الجنسية ، والتى تحل أوليا خلال التبول والتبرز . ان هى الا مظاهر من الطاقة الزائدة ، أو التوتر الفائض . » (ص ١٦١) .

ولقد لقيت نظرية الطاقة الزائدة لالكسندر تطبيقها بعد ذلك فى مجال هام من مجالات البحث النفسى ، ذلك هو مجال سيكلوجية الطفولة . فاصبحت من النظريات التى يفسر بها لعب الاطفال . ويرى فرنش انها فكرة عرض لها قبل الكسندر الشاعر

(١) Psychoanalysis Revised.

(٢) The Logic of Emotions and its Dynamic Background.

(٣) Unexplored Areas in Psychoanalytic Theory & Treatment.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الالمانى فردريك شيلر ، وهربرت سبنسر . من خلال هذه النظرية أصبح لعب الاطفال التلقائى ، اى الذى لا يهدف لغرض نفعى ، صورة من صور الطاقة الزائدة « فالطفل يلعب ويختبر وظائف بدنه تلقائيا لمجرد اللذة المستمدة من هذا النشاط » (ص ٨) .

ويوحد الكسندر هذا النوع من اللعب بالسلوك الشهوى وهو لا ينسى أن يذكرنا بان « الاله اليونانى Eros. كان الها للحب واللعب معا وكان يرمز له بصورة طفل . » (ص ٨) .

***

● التطبيقات الاجتماعية والسياسية والادبية :

يفرد الكسندر فى الكتاب ثلاثة اجزاء للتطبيقات اشتملت على اكثر من خمسة عشر بحثا ، غطت كثيرا من المجالات العلمية . كعلم الجريمة ، والطب السيكوسوماتى ، السياسية ، عـــالم الجمال ، الفلسفة ، الادب .. الخ .

ففى مجال الجريمة اشتمل الكتاب على بحثين الاول بعنوان « دون كيشوت امريكا » (١) يتحدث فيه الكسندر عن نوع من المنحرفين ، والجناح ، ساد فى امريكا فى هذه الفترة ، بالذات . يقترب بناؤهم من بناء شخصية دون كيشوت فى قصـــة سرفانتس الشهيرة « واذا كان دون كيشوت قد حاكى فى هذا ابه المرضية فضائل الاسلاف ، متبعا مثاليات وحياة طبقة الفرسان القديمة . وعد من أجل ذلك مجرما مجنونا . فان صغار الجناح فى بلدنا « أمريكا » فى اعتداءاتهم المتكررة على المسالمين انمـــا يحاكون — بالمثل — مثاليات خاطئة روادها رجال افظاظ من أمثال وايلد وبست ، وبفالوبيل .. مع فارق واحـــد هو : ان دون كيشوت استخدم الخوذة ، والرمح فى حين يستخدم — صغارنا . اسلحة اكثر فتكا وتدميرا كالسيارات والاسلحة الاتوماتيكية » (ص ٣٨٢) .

وينتهى الكسندر الى ان « التربية هى الطريق المباشر لمنع الجريمة ، تلك التربية التى تعمل على خلق مثاليات جماعيـــة جديدة تناسب البناء الاجتماعى الراهن » (٣٨٢) .

أما المثاليات الخاطئة التى يرى ان الشباب الامريكى يتبعها فهى تتمثل لا فى الرغبة العارمة للكسب المادى السريع فحسب ، وانما كذلك فى تعطش هذا الشباب الى الاعتبـــار الاجتماعى ، والرغبة فى الظهور بمظهر الخشونة ، والشجاعة ، والاستقلال ، كتغطية لما يعتمل فى داخلهم اللاشعورى من رغبة فى الاعتماد ، وتقبل الحب من الآخرين .

ويعالج المؤلف فى البحث الثالث من الجزء الرابع الوقاية من الجريمة ومنعها ، وهو بعنوان « مساهمات الطب النفسى فى منع الجريمة (٢) .

وعموما فاننا ناخذ على الكسندر انه اقتصر على نوع واحد من انواع الجريمة . لذلك جاءت كتابتـــه — فى هذا المجـال — متيسرة ، وغير مقنعة . وكان الاحرى به ان يدع الـــكتابة فى هذا الشان لغيره من المتخصصين فى هذا الميدان . واذا كان هذا هو حكمنا على مبحث الجريمة ، عند الكسندر ، فاننا نشهد بان ابحاثه عن الطب النفسى الجسمى (السيكوسوماتى) ، جاءت واضحة دالة على العمق ، والمنهجية ، التى يتمتع بها باحث جاد كالكسندر ، واننا ندع هذا الجزء الخاص بالطب السيكوسوماتى ليقراه المتخصصون فى منبعه الاصلى ، خوفا من ان يكون فى عرضنا تشويها له ، وحسبنا ان نشير الى ان هذا الجزء يشتمل على اربعة ابحاث قام الكسندر بكتابة ثلاثة منها بالتعاون مع آخرين من الاطباء ، والاخصائيين النفسيين وهى : « عمليـــات الايض (الهدم والبناء) » (٣) والثانى « دراسات تجريبية للشدة الانفعالية » والثالث (٤) « دراســة ســيكوسوماتية لحـــالة ربو » (٥) . اما البحث الرابع فقد كتبه الكسندر منفردا وهو « المنهج السيكوسوماتى فى العلاج الطبى » .

أما المجالات التطبيقية الاخرى التى كتب فيها الكسندر ، فهى على الرغم من انها جاءت ككتابته عن مجال الجريمة ، ضيقة ، ومبتسرة — الا ان كثيرا منها جاء نموذجا جادا ليحتذى حذوه من يحاول التخصص فى هذا المجال ، او غيره ، فمثـــلا كتب الكسندر ، بحثا واحدا ، عن مجال التفسير التحليلى للادب ، ومع ان هذا المجال ، يلقى فى الفترة الاخيرة اهتماما بالغا من علماء التحليل النفسى . هذا الى الكتابات الرائعة التى قام بها الرواد الاول ، والتى اضاءت كثيرا ، من غوامض الابداع الادبى ككتابة فرويد عن « الكترا » او كتابة ارنست جونز عن«هاملت» او ساكس عن « دستويفسكى » مع هذا فان البحث الذى كتبه الكسندر ، جاء مثلا حصيفا ، جديرا بان يحتذيه المتخصصون سواء فى علم النفس ، او فى النقد الادبى .

وعنوان البحث هو «ملاحظة عن فولستاف» (٦) ومعروف ان فولستاف هو الشخصية المشهورة التى خلدها شيكسبير فى مسرحيته : « هنرى الرابع » و « زوجات وندسور المبتهجات ». ويتجه الكسندر فى تحليله لشخصية فولستاف — كاى مفسر نفسى — من النص الى القائل . من الشخصية المسرحية للمؤلف والقارىء . فيوضح لنا الدلالات السيكولوجية ، التى تدفع الانسان الى التمتع بقراءة او مشاهدة نص مسرحى ما . او تلك التى تؤدى الى تخصيص الفنان او الاديب فى كتابة لون من الوان التاليف.وهو يتساءل — منذ البداية — عن سر اعجابنا بشخصية فولستاف . ذلك الشخص السمين ، العربيـــد ، السكير ، الجبان . كما يتساءل عن دوافع شيكسبير ، لاحيائه فى مسرحية « زوجات وندسور المرحات » بناء على رجاء من الملكة اليزابيث بعد ان اماته فى مسرحية « هنرى الرابع » .

اما سر اعجابنا بتلك الشخصية فهو — كما يرى الكسندر — انه يمثل مبدأ هاما ، من مبادىء الحياة النفسية الانسانية ، ذلك هو « مبـدأ اللذة » ، بكل ما فى هـــذا المبدأ من انعكاسات

(١) The Don Cuixote of America.

(٢) Psychiatric Contributions to Crime Prevention.

(٣) Zest and Carbohydrate Metabolism.

(٤) Experimental Study of Emotional Stress.

(٥) Psychosomatic Study of a Case of Asthma.

(٦) The Psychosomatic Approach in Medical Therapy. A Note on Falstaff.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نرجسية ، وتمركز حول الذات ، وبحث عن المتع الحسية . وهو مبدأ ، تخضع له الحياة النفسية فى تطورها الاول ، فى مقابل مبدأ آخر ، يأخذ مكانه فى حياة الانسان النفسية ، عند بلوغها مرحلة النضج ، وقوة بناء الأنا وهو « مبدأ الواقع » . الذى ظهرت فاعليته ، فى شخصية الامير هنرى ، فجعله يدع الحياة الخاملة . ويحطم كل ما نسج حوله من توقعات التخاذل عن الثار لابيه ، فقتل « هوتسبير » الشرير ، رمز الغرائز المدمرة فى حياة الانسان . أو لم يكن « هوتسبير » العدو اللدود لملك انجلترا والد الامير هنرى ؟!. وكان شيكسبير يحل عقدته الأوديبية ، بتحطيمه لذلك الجانب المدمر من الذات (كراهية الأب كما تجسدت فى هوتسبير) . ومن ثم ترتفع بطولة الامير هنرى فى أعين المشاهدين الى قمتها . وبانتصار هنرى على ذلك الجانب العدوانى ، يبقى عليه ـ كى يكون راشدا متزنا ـ الانتصار على جانب اللذة الخالص (الذى تجسد فى فولستاف) . لذلك يقتل هنرى فولستاف . وبذلك تنتهى مسرحية شكسبير « هنرى الرابع » . ولكن شيكسبير يعد المتفرجين فى نهاية المسرحية باحياء فولستاف . أو بالاحرى ذلك الجانب اللذيذ من حياة الانسان بكل ما فيها من مرح ، ومتع ، وعربدة . وكان شيكسبير يوافق النظارة ـ الذين ابتأسوا لموت فولستاف ـ بان ذلك جانب لا يموت ، وان كان احياؤه يؤجل الى حين فان « من أصعب الاشياء فى حياة الانسان الحكم باعدام ذلك الجانب « الفولستافى منها » . وآية ذلك ، ان الملكة اليزابيث نفسها طلبت الى شيكسبير احياءه فى مسرحية أخرى . ولم يجد شيكسبير مفرا من احيائه فى « وزجات وندسور المرحات » وفى « هنرى الخامس » . استجابة لنوازع المشاهدين ، ولنوازع ذاته .

ولم ينس الكسندر ـ فى هذه المجموعة ـ أن يعرض لنا رأى التحليل النفسى ، فى السياسة ، وهو على الرغم من أنه لا يخصص فصلا بعينه لهذا الجانب التطبيقى ، الا اننا نلمس رأيه بوضوح من خلال ثلاثة ابحاث ، تمثل طورا من أطوار التطور الفكرى لالكسندر . اذ كتبت هذه الابحاث فى الفترة ما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٦٠ . اما الابحاث التى يمكن من خلالها ان نستشف رأى الكسندر فى السياسة فهى « دون كيشوت أمريكا » (١) ، والمخاطرة والامان فى عالم متغير » (٢) ، وتعليق على كتاب « مقدمة لعلم النفس الاجتماعى عند فرويد » (٣) ورأى الكسندر فى السياسة يتمثل بشكل عام فى نظرته لحياة الانسان ، أما الديكتاتورية فهى تمثل ـ عنده ـ نمطا من أنماط النكوص لمراحل الاعتماد الطفلى ، وهى مرحلة بدائية ، فجة .

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الكسندر لم ينس فى هذه المجموعة من أن يلخص لنا رأى التحليل النفسى ، حيال ذلك الاتجاه الحديث الذى يسود أوروبا فى الوقت الراهن فى فهم النفس الانسانية ، ونعنى بذلك الاتجاه المعروف باسم « علم النفس الوجودى وذلك ، فى بحث بعنوان « انطباعات حول الاجتماع الرابع للجمعية الدولية فى العلاج النفسى » (١) وقد عقد فى اسبانيا أخيرا . ومن الجدير بالذكر انه عرض فى بداية البحث لمأخذ علم النفس الوجودى على التحليل النفسى بانه ينظر الى الفرد الانسانى خلال افكار ونظريات مجردة ، يعممها على كل الافراد ، دون الاقتناع بخصوبة ، وثراء ، وتفرد الحياة النفسية . ويعرض الكسندر ـ بعد تمحيص آراء علم النفس الوجودى ـ بكثير من اوجه الشبه بين المدرستين ، وينتهى الى مهاجمة آراء علم النفس الوجودى تجاه كثير من المشكلات النفسية ، كمشكلة القلق ، ومعالجتها على انها ظاهرة وجودية سوية ، علينا ان نحتملها بل ونعانيها ، كما يأخذ الكسندر ، على المدرسة الوجودية انها تعالج الوقائع السيكلوجية الحية ، خلال مفاهيم فلسفية عامة ، متجمدة . والطريف أن هذا النقد هو عين ما يأخذه المدرسة الوجودية على علم النفس عامة ، والتحليل النفس خاصة .

وبعد فلعله قد اتضح للقارىء مدى خصوبة هذا الكتاب ، وثراء المحاولات التى يقوم بها علماء النفس ـ فى اللحظة الراهنة ـ للاتصال المباشر بمشاكل الحياة ، ومعالجتها خلال الابعاد التى استحدثوها فى فهم السلوك الانسانى ، وهى ابعاد ما كان لهم أن يصلوا اليها الا من خلال البحث المستمر الذى يحدوه منهج علمى مستنير .

عبد الستار ابراهيم محمد

---

(١) سبقت الاشارة اليه . Adventure & Security in a changing World.

(٢) Analysis of the Ego by Sigmund Freud.

(٣) Introduction to group Psychology and the Impression from the Fourth International Congress of Psychotherapy.

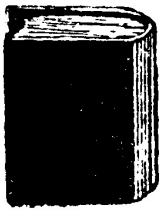

دراسة عن وردزورث

تأليف : ج . ك . سميث

A STUDY OF WARDSWORTH

by J. C. SMITH Oliver & Boyd Ltd. 1960

للرومانسية فى الأدب الانجليزى بذور تنتشر فى مساحة واسعة من العصور التى تعاقبت على الحياة الأدبية فى انجلترا . وتمتد هذه المساحة عبر قرون عديدة منذ مفتتح عصر النهضة ، بل ربما قبل ذلك كما يبدو فى المواويل والملاحم الشعبية التى راجت ابان العصر الوسيط ، وتتصل حتى تبلغ مشارف النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ويستطيع الباحث فى التطور الثقافى منذ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com